اسرائيل : بين الرأسمالية والاشتراكية

كين ميبركورد

« هل يمكن أن تتعايش الرأسمالية والاشتراكية في اسرائيل ؟ » كان هذا هو السؤال الذي طرحه مؤخرا السكرتير العام لمنظمة العمل الاسرائيلية ، الهستدروت . وهو بذلك قد طرح السؤال الذي أزعج اسرائيل عبر تاريخها ، الا انه اليوم يشكل ازعاجا حادا اكثر من اي وقت مضى . ان الحلم الصهيوني المبكر ، في اقامة دولة الرفاه لليهود على أرض فلسطين ، مطروح ضمن البرنامج السياسي لحزب العمل الاسرائيلي الحاكم، والذي يدعي بأنه حزب اشتراكي . ولكن قادة العمل الصهيونيين في اسرائيل قد فشلوا، برغم نياتهم الحسنة ، في اقامة دولة اشتراكية . فمع أن القطاع العام يسيطر على الاقتصاد الاسرائيلي ، الا ان الحرية متاحة للمشروعات الخاصة في سعيها من أجل الربح . ومع ان الخدمات العامة مؤمنة الان لقطاع كبير من السكان ؟ الا ان الفروقات الاجتماعية ما زالت قائمة ، ومآسي المجتمع الرأسمالي التي تأخذ تعبيرها في الاضطراب الاجتماعي لا زالت تجتاح البلاد .

ان فشل اسرائيل في تحقيق دولة الرفاه التي تخيلها الصهيونيون الاوائل مرتبط بفشل اسرائيل في تحقيق حلم صهيوني آخر ، الحلم بوطن قومي يهودي مستقل اقتصاديا . فاسرائيل تعتمد على الدعم المالي من البلدان الرأسمالية الغربية ، وهذا الاعتماد يحبط محاولاتها في الوصول الى اهدافها الاشتراكية . ولم يكن القادة الاسرائيليون وحدهم الذين تعين عليهم ان يكيفوا معتقداتهم الاشتراكية مع الايديولوجية الرأسمالية السائدة في الغرب ، بل تحتم على الاقتصاد الاسرائيلي ايضا ان يتقولب بقالب رأسمالي وذلك بفعل سياسات الحكومات الغربية ومطالب الرأسماليين الاجانب . ان المساعدات التي تقدمها الحكومة الاميركية والمؤسسات المرتبطة بها ، مثل البنك الدولي ، الى الدول النامية ترمي ، كهدف اولي لها ، الى تشجيع الاقتصاد الحر والاستثمار الاجنبي الخاص بصورة خاصة(١). ولهذا السبب ، فان القرض الذي قدمته الوكالة الاميركية للتنمية الدولية في العام الماضي لاسرائيل ، وهو قرض من اجل الاسكان بلغ ٥٠ مليون دولار ، لم يقدم الى الحكومة الاسرائيلية وانما اعطي لبنك خاص هو بنك تيفاحوت. والرأسماليون الاجانب الذين يقدمون الدعم السياسي والمالي لاسرائيل لا يفعلون ذلك من أجل لا شيء. فحين كان آل روتشيلد مثلا ، يسهمون في زيادة الهجرة اليهودية الى فلسطين اثناء الانتداب ، كانوا يضمنون نجاح استثماراتهم الموظفة في الصناعات الرئيسية في فلسطين مثل شركة نيشر للاسمنت ، والمطاحن الكبرى ، وشركة كهرباء فلسطين . واليوم هناك الاشخاص امثال الاميركي سام روتنبرج ، رئيس شركة « البونددرايف » ومؤسسة الاستثمار الاسرائيلية ، الذين يجمعون بذكاء بين العمل الخيري وجني الارباح .

ان الرأسماليين اليهود ، كغيرهم من الرأسماليين ، هم مخلوقات تسعى وراء الربح، واسرائيل بالنسبة للكثيرين منهم ، مثل اية مستعمرة اخرى ، موجودة لكي يجري استغلالها . وطالما ظلت اسرائيل معتمدة على الرأسماليين الاجانب وحكوماتهم، فستظل